مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، ص95– ص125 يونيو 2014
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

التخصص في ضوء السنة النبوية وأثره على المجتمع

أ.د. نعيم أسعد الصفدي
أستاذ الحديث الشريف وعلومه – كلية أصول الدين
الجامعة الإسلامية – غزة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين، سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد

فإن هذا البحث من البحوث المهمة، الأساسية، التي نحن بحاجة ماسة لها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فنحن أحوج ما نكون للاهتمام بالتخصص والمتخصصين من أبناء أمتنا العربية والإسلامية، نشجعهم ونهتم بهم وننميهم؛ ليكونوا أداة فاعلة متميزة، في تطور المجتمع، وتقدمه وتفوقه، بأقل كلفة وأقصر وقت.

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى:

- بيان اهتمام السنة النبوية بالتخصصات المختلفة.
- إبراز أهمية التخصص في تطوير المجتمع وتميزه.
- حث الوزارات الحكومية والمؤسسات الخاصة على اختيار المتخصصين دون النظر إلى الواسطة.
- التعرف على الخبرات المختلفة للصحابة رضوان الله عليهم وبيان توظيفها في خدمة المجتمع والارتقاء به.

منهج الباحث: يتلخص منهج الباحث في النقاط التالية:

- استخدم الباحث منهج الاستقراء غير التام، حيث قام بجمع مجموعة من الروايات – الصحيحة والحسنة بنوعيها – الدالة على التخصصات المختلفة للصحابة_ رضوان الله عليهم_ ، وذلك من خلال كتب السنة .
- إذا كانت الرواية في الصحيحين أو في أحدهما اكتفى الباحث بالعزو إليهما أو إلى أحدهما.

وإذا كانت في غير الصحيحين، قام الباحث بذكر حكمه عليها وأحياناً يكتفي بنقل أحكام العلماء عليها.

- وضع الباحث عنواناً مستقلاً لكل تخصص عثر عليه ، ووضع تحته حديثاً أو أكثر يدل عليه.

- استفاد الباحث من كتب اللغة والشروح وغريب ألفاظ الحديث في خدمة الأحاديث الواردة.
- ربط الباحث الموضوع بالواقع لإبراز أثر هذه التخصصات على المجتمع.
- عزى الباحث الأقوال إلى أصحابها، وكتب المصادر والمراجع مرتبة أبجديا حسب اسم المُصنِّف وذلك في نهاية البحث.

خطة البحث:

قسم الباحث البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التأصيل لمسألة التخصص في السنة النبوية.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية للتخصصات التي اهتم بها النبي ﷺ وشجع عليها.

المبحث الثالث: الآثار الإيجابية المنعكسة على المجتمع عند اعتبار التخصص، والآثار السلبية المترتبة في حال عدم اعتباره.

الخاتمة : وشملت النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التأصيل لمسألة التخصص في السنة النبوية

أولاً: التخصص لغة واصطلاحاً:

أ- **التخصص لغة:** قال ابن فارس في مادة (خَصَّ) الْخَاءُ وَالصَّادُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْفُرْجَةِ وَالثُّلْمَةِ. فَالْخَصَاصُ الْفُرَجُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ ... وخَصَصْتُ فُلَانًا بِشَيْءٍ خَصُوصِيَّةً، بِفَتْحِ الْخَاءِ، وَهُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أُفْرِدَ وَاحِدٌ فَقَدْ أَوْقَعَ فُرْجَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ .[1]
وقال ابن منظور: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ لَهُ إِذا انْفَرَدَ. [2]

ب- **التخصص اصطلاحاً:** يقول الجرجاني: الخاص: عبارة عن التفرد يقال: فلان خص بكذا؛ أي أفرد به ولا شركة للغير فيه. [3] ويعرف جُبران مسعود التخصص بقوله: هو دراسة فرع معين في العلم أو الفن أو الصناعة للتفرغ إليه دون سواه. [4]

ويمكن مما سبق استنباط تعريف التخصص اصطلاحاً: بأنه تميز الإنسان وتمكنه من موضوع معين سواء في العلم أو غيره بحيث يكون مبدعاً فيه .

ثانياً: أهمية التخصص وحض النبي ﷺ عليه :

إن للتخصص أهميةً كبيرةً في حياة الفرد والمجتمع، حيث نجد المتخصص في علم معين، أو مهنة معينة محباً لتخصصه، مبدعاً فيه، يعمل وهو مرتاح النفس ، مما ينعكس ذلك إيجاباً عليه وعلى أسرته ومجتمعه. وإن المجتمع المتطور ، الحضاري، الذي يصبو إلى الأفضلية ، والرقي لهو بحاجة ماسة لأصحاب التخصصات المتنوعة العلمية والمهنية، ولذلك نجد النبي ﷺ يحض على التخصص ويحفز عليه ويهتم به.

روى الإمام أحمد في من طريق قَيْسِ بْنِ طَلْقٍ ، عَنْ أَبِيهِ طَلْقِ بْن عَلِيٍّ قالَ: جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَبْنُونَ الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَكَأَنَّهُ لَمْ يُعْجِبْهُ عَمَلُهُمْ، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْمِسْحَاةَ، فَخَلَطْتُ بِهَا الطِّينَ، فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ أَخْذِي الْمِسْحَاة وَعَمَلِي، فَقَالَ: " دَعُوا الْحَنَفِيَّ وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطُكُمْ لِلطِّينِ ".[5]

وفي رواية قَال طلق بن علي: بَنَيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ فَكَانَ يَقُولُ: قَدِّمُوا الْيَمَامِي مِنَ الطِّينِ، فَإِنَّهُ مِنْ أَحْسَنِكُمْ لَهُ مَسًّا. [6]

وفي رواية قال النبي ﷺ:" قَرِّبِ الْيَمَامِيَّ مِنَ الطِّينِ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُكُمْ لَهُ مَسًّا وَأَشَدُّكُمْ مَنْكِبًا . [7]

وفي رواية قَال طلق بن علي: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، وَهُوَ يُؤَسِّسُ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، فَجَعَلْتُ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ كَمَا يَحْمِلُونَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّكُمْ يَا أَهْلَ الْيَمَامَةِ أَحْذَقُ شَيْءٍ بِإِخْلَاطِ الطِّينِ، فَاخْلِطْ لَنَا الطِّينَ، فَكُنْتُ أَخْلِطُ لَهُمِ الطِّينَ وَيَحْمِلُونَهُ . [8]

فهذه الروايات تدل على أن النبي ﷺ لم يدعه يعمل بنقل الحجارة وإنما وجهه ليعمل بتخصصه وهو خلط الطين فهو ماهر فيه متمكن، وبالتالي يكون العمل متقناً ومنجزاً بفترة زمنية بسيطة.

ولذلك يقول منير الغضبان:" فقد اهتم النبي ﷺ بهذا الوافد الجديد على المدينة، والذي لم يكن من المسلمين الأوائل، ووظف خبرته في خلط الطين، وفي قوة العمل، وهو درس للمسلمين في الثناء على الكفاءات والاستفادة منها". [9]

ثالثاً: إظهار النبي ﷺ لتخصصات بعض الصحابة

روى الترمذي وابن ماجه وغيرهما من طريق أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ. [10]

ووضع ابن حبان للحديث عنواناً بقوله: " ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْقَصْدِ بِالتَّخْصِيصِ فِي الْفَضِيلَةِ لِأَقْوَامٍ بِأَعْيَانِهِمْ ". [11]

وروى مسلم في صحيحه من طريق أَنَسٍ قال: إِنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ، فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمْنَا السُّنَّةَ وَالْإِسْلَامَ، قَالَ فَأَخَذَ بِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ». [12]

يقول ابن حجر: "وَالْأَمِينُ هُوَ الثِّقَةُ الرَّضِيُّ وَهَذِهِ الصِّفَةُ وَإِنْ كَانَتْ مُشْتَرَكَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ لَكِنَّ السِّيَاقَ يُشْعِرُ بِأَنَّ لَهُ مَزِيدًا فِي ذَلِكَ". [13]

قال ابن حجر: " وَصَحَّ عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَرَادَ الْفِقْهَ فَلْيَأْتِ مُعَاذًا". [14]

قال ابن عبد البر:" فَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ خَصْلَةً أَفْرَدَهُ بِهَا لَمْ يَلْحَقْهُ فِيهَا صَاحِبُهُ". [15]

وقال ابن حجر: "خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْكِبَارِ بِفَضِيلَةٍ وَوَصَفَهُ بِهَا فَأَشْعَرَ بِقَدْرٍ زَائِدٍ فِيهَا عَلَى غَيْرِهِ كَالْحَيَاءِ لِعُثْمَانَ وَالْقَضَاءِ لِعَلِيٍّ وَنَحْوِ ذَلِكَ". (16)

ويقول الشوكاني: " فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ، وَإِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ أَعْلَمَهُمْ بِالْفَرَائِضِ فَيَكُونُ الرُّجُوعُ إلَيْهِ عِنْدَ الِاخْتِلَافِ فِيهَا أَوْلَى مِنْ الرُّجُوعِ إلَى غَيْرِهِ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ فِيهَا مُقَدَّمًا عَلَى أَقْوَالِ سَائِرِ الصَّحَابَةِ، وَلِهَذَا اعْتَمَدَهُ الشَّافِعِيُّ فِي الْفَرَائِضِ". (17)

يبرز هذا الحديث عظمة النبي ﷺ في بيان بعض الأوصاف والتخصصات التي تميز بها بعض الصحابة عن بعض، ولا يعني هذا الوصف للصحابي أن غيره معدومة فيه هذه الصفة. فإذا أردت أكثر الصحابة رحمة ورأفة بهذه الأمة فهو أبو بكر الذي تميز بالعطف والرحمة واللين، و أقواهم صرامة وأصلبهم شكيمة في دين الله عمر لغلبة سلطان الجلال على قلبه، وأصدقهم حياء من الله ومن الخلق عثمان بن عفان؛ ولشدة حيائه كانت تستحي منه ملائكة الرحمن، وأعرفهم بالقضاء بأحكام الشرع على_ رضي الله عنه_، و أعلمهم بقراءة القرآن أبي بن كعب وذلك بالنسبة لجماعة مخصوصة أو في وقت من الأوقات، و أكثرهم معرفة بعلم الفرائض وهو مسائل المواريث زيد بن ثابت، وأعلمهم ما يحل ويحرم من الأحكام معاذ بن جبل، و أشدهم محافظة على الأمانة وتباعدا عن مواقع الخيانة أبو عبيدة عامر بن الجراح.

وقد حض النبي ﷺ أبا موسى الأشعري ومدح جمال صوته بقراءة القرآن حيث روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق أَبِي مُوسَى الأشعري، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». (18)

وقد ترجم البخاري للحديث بقوله: " بَابُ حُسْنِ الصَّوْتِ بِالقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ ". (19)

رابعاً: البحث عن المتخصص دون النظر إلى لونه و مكانته وموقعه الاجتماعي

روى مسلم في " صحيحه" من طريق عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ ، فَقَالَ : مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي (20)، فَقَالَ ابْنَ أَبْزَى (21)، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى ؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا ، قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ_ عَزَّ وَجَلَّ_ ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ ، قَالَ عُمَرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ. (22)

إن السبب الرئيس في استعمال نافع بن عبد الحارث لابن أبزى على أهل مكة رغم أنه مولى، هو معرفته وتمكنه من قراءة القرآن وتخصصه بعلم الفرائض ولما علم عمر_ رضي الله عنه_ ذلك، مدح هذا الفعل واستشهد بحديث لرسول الله ﷺ يدل فيه على مكانة العارفين لكلام الله _تعالى_ العاملين بما فيه.

خامساً: التحذير من وضع الرجل غير المناسب في مكان غير مناسب وبخاصة في مجال الحكم والقضاء

يحذر النبي ﷺ الأمة من سنوات ستأتي على الناس تفسد فيها أخلاقهم ويكون المنطق معكوساً، والمعايير والموازين مختلة حيث يكذب الصادق، و يصدق الكاذب ويخون الأمين، ويؤتمن الخائن، ويتولى أعلى المناصب رعاع الناس وسفهاؤهم، والناس التافهة.

روى ابن ماجه في "سننه" من طريق أبي هُرَيْرَةَ_ رضي الله عنه_ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ». (23)

وفي رواية عند أحمد في "مسنده" من طريق أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ " قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ ". (24)

وفي رواية عند أحمد في "مسنده" من طريق أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ ". قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: " الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ " (25)

إن عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب – وبخاصة في مقام الحكم – يؤدي إلى فساد الدنيا وقرب قيام الساعة ومما يدلل على ذلك ما روى البخاري في صحيحه من طريق أَبِي هُرَيْرَةَ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه_ُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». (26)

وفي رواية عند البخاري أيضاً بلفظ" «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». (27)

قال ابن بطال: " أدخل في تضييع الأمانة ما في معناها مما لا يجرى على طريق الحق، كاتخاذ العلماء الجهال عند موت أهل العلم، واتخاذ ولاة الجور وحكام الجور عند غلبة الباطل وأهله". (28)

وَقَالَ الْكرْمَانِي: "أسْند الأمر؛ أَي: فوض المناصب إِلَى غير مستحقيها كتفويض الْقَضَاء إِلَى غير الْعَالم بِالْأَحْكَامِ كَمَا هُوَ فِي زَمَاننَا". (29)

وقال المناوي: إذا سود وشرف من لا يستحق السيادة والشرف فدل ذلك على دنو الساعة لإفضائه إلى اختلال الأمر والنهي ووهن الدين وضعف الإسلام وغلبة الجهل ورفع العلم وعجز أهل الحق عن القيام به ونصرته. (30)

وقال علي القاري :"وَإِنَّمَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى دُنُوِّ السَّاعَةِ لِإِفْضَائِهِ إِلَى اخْتِلَالِ الْأَمْرِ، وَعَدَمِ تَمَامِ النِّظَامِ، وَوَهَنِ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَضَعْفِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ." (31)

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: "لِأَنَّ تَغَيُّرَ الْوُلَاةِ وَفَسَادَهُمْ مُسْتَلْزِمٌ لِتَغَيُّرِ الرَّعِيَّةِ، وَقَدْ قِيلَ: النَّاسُ عَلَى دِينِ مُلُوكِهِمْ " (32)

ويقول ابن عثيمين: "إذا فسد الناس فانتظر الساعة؛ لأن الساعة تقوم على شرار الخلق ففي هذا التحذير من تضييع الأمانة وأنه يجب أن يولي المناصب الأهل فالأهل؛ لأن هذا مقتضى الأمانة". (33)

ويقول الشيخ حمزة محمد قاسم:" إذا أسندت الأمور المهمة التي ترتبط بها مصالح المسلمين من إمارة وقضاء وحسبة وشرطة إلى غير أصحاب الكفاءات الشرعية والإدارية والعلمية والفنية وسلمت لغير ذوي الاختصاص فقد ضاعت الأمانة وأوشكت الساعة أن تقوم، لأن الولاية أمانة ومسؤولية لا يمكن أن يؤديها إلاّ من كان عالماً بها ناصحاً فيها، مقدراً لمسؤوليته نحوها، فإذا وليها غير أهلها من الجهلة أو الخونة لم يقوموا بأدائها، فتضيع مصالح الناس، وتنتشر الفوضى، ويعم الظلم، وتتفشى العداوة والبغضاء، فينهار كيان المجتمع، ويؤدي ذلك إلى القضاء على الأمة، وعند ذلك انتظر الساعة". (34)

إذاً فإسناد أمر الحكم وما في معناه من القضاء والفتيا والحسبة والشرطة لمن ليس بأهل لها، ولغير ذوي الاختصاص، فإن ذلك يؤدي إلى الفساد والشر والظلم، ويؤدي ذلك إلى تفشى العداوة والبغضاء، مما يعني انهيار المجتمع وتفككه وقرب قيام الساعة؛ لأن" الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس". (35)

وبالمقابل إذا وضع الرجل المناسب فسيكثر الخير ويقل الشر ويسود الصلاح والفلاح والراحة والطمأنينة والمحبة فيزدهر المجتمع وتكون الدولة قوية متينة .

سادساً: الرجوع إلى المتخصص عند وقوع الخلاف

حيث كان ابن عباس حبرَ الأمة وعالمها ببركة دعاء النبي ﷺ له حيث قال ﷺ : " اللَّهُمَّ فَقِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ ". (36) ، قال ابن بطال: " التفهم للعلم هو التفقه فيه ، لا يتم العلم إلا بالفهم ". (37)

وكان عمر_ رضي الله عنه_ يدخل ابن عباس_ رضي الله عنهما_ في أوساط الكبار ليبرز مكانته العلمية ويكون الحكم في القضايا المختلف في معرفتها. حيث روى البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ_ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا_ قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الْفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، قَالَ : فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ، قَالَ: وَمَا أُرِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا﴾ [38] حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَدْرِي أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا. فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَمَا تَقُولُ ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [39] قَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ . [40]

فكمال فهم ابن عباس وسعة علمه دفعا عمر_ رضي الله عنه_ لتقديمه على أقرانه، وجعل كلامه هو الفيصل في المسائل الخلافية. وقال عمر_ رضي الله عنه_ مبيناً مكانة ابن عباس: لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عَشَره منا أحد . [41]

وقال ابن حجر: دعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه . [42]

وقال ابن حجر:" فيه فضيلة ظاهرة لابن عباس وتأثير لإجابة دعوة النبي ﷺ أن يعلمه الله التأويل ويفقهه في الدين ". [43]

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية للتخصص اهتم بها النبي ﷺ وشجع عليها.

-المتخصص في الإمامة في الصلاة الأكثرُ حفظاً وقراءة :

روى مسلم في صحيحه من طريق أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَحَدُهُمْ ، وَأَحَقُّهُمْ بِالإِمَامَةِ أَقْرَؤُهُمْ ". [44]

وفي رواية من طريق أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً ، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً ، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ... [45]

وفي رواية للبخاري من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ المُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ العُصْبَةَ – مَوْضِعٌ بِقُبَاءٍ – قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَؤُمُّهُمْ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَكَانَ أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا». [46]

ويوضح العيني مفهوم أقرؤهم بقوله:" أعلمهم بِالْقِرَاءَةِ وَكَيْفِيَّة أَدَاء حروفها ووقوفها وَمَا يتَعَلَّق بِالْقِرَاءَةِ" .[47]

-الأذان يحتاج إلى صوت مرتفع جميل:

روى أبو داود في "سننه" من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلَاةِ طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قَالَ: فَقَالَ: تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ، قَالَ: وَتَقُولُ: إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ، بِمَا رَأَيْتُ فَقَالَ: «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، **فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ» فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ، فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ، وَيُؤَذِّنُ بِهِ،** قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ يَجُرُّ رِدَاءَهُ، وَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ». [48]

وفي رواية للترمذي [49] فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ لَرُؤْيَا حَقٌّ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَإِنَّهُ أَنْدَى وَأَمَدُّ صَوْتًا مِنْكَ، فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا قِيلَ لَكَ، وَلْيُنَادِ بِذَلِكَ».

وقد وضع ابن خزيمة للحديث عنوانا بقوله:" بَابُ ذِكْرِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ أَرْفَعَ صَوْتًا وَأَجْهَرَ، كَانَ أَحَقَّ بِالْأَذَانِ مِمَّنْ كَانَ أَخْفَضَ صَوْتًا، إِذِ الْأَذَانُ إِنَّمَا يُنَادَى بِهِ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ لِلصَّلَاةِ". [50]

ووضع البيهقي عنواناً للحديث بقوله:" بَابُ الرَّغْبَةِ فِي أَنْ يَكُونَ الْمُؤَذِّنُ صَيِّتًا". [51]

فرغم أن الصحابي الجليل عبدالله بن زيد هو من رأى الرؤيا، وحفظ كلمات الأذان، إلا أن النبي ﷺ أمره أن يعلمها ويحفظها لبلال_ رضي الله عنه_ حتى يرفع بها، وذلك لما يمتاز به بلال من حسن الصوت وعلوه وجماله وامتداده.

ويقول الإمام الخطابي :"وفي قوله ألقها على بلال فإنه أندى صوتا منك، دليل على أن من كان أرفع صوتا كان أولى بالأذان؛ لأن الأذان إعلام فكل من كان الإعلام بصوته أوقع كان به أحق وأجدر". [52]

يقول الإمام النووي :" فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَرْفَعُ صَوْتًا وَقِيلَ: أَطْيَبُ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ اسْتِحْبَابُ كَوْنِ الْمُؤَذِّنِ رَفِيعَ الصَّوْتِ وَحَسَنَهُ وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ قَالَ أَصْحَابُنَا: فَلَوْ وَجَدْنَا مُؤَذِّنًا حَسَنَ الصَّوْتِ يَطْلُبُ عَلَى أَذَانِهِ رِزْقًا وَآخَرَ يَتَبَرَّعُ بِالْأَذَانِ لَكِنَّهُ غَيْرُ حَسَنِ الصَّوْتِ فَأَيُّهُمَا يُؤْخَذُ فِيهِ وَجْهَانِ أَصَحُّهُمَا يُرْزَقُ حَسَنُ الصَّوْتِ". (53)

ولذلك فإنه ينبغي على وزارة الأوقاف والمشرفين على المساجد أن يختاروا المؤذن صاحب الصوت الجميل، والعالي وأن يكون نفسه طويلاً فجمال صوت المؤذن يجذب الناس للصلاة ويكون حافزا لهم على المداومة على صلاة الجماعة، ولذلك اختار النبي ﷺ بلالاً رضي الله عنه ليقوم بهذه المهمة .

ويشير الشيخ محمد بن صالح العثيمين إلى أنَّ ما يُطلبُ فيه قوَّةُ الصَّوت ينبغي أن يُختار فيه ما يكون أبلغ في تأديَة الصَّوت، وذكر أوصافاً ثلاثة يستحسن أن تكون في المؤذن وهي:

1- قوَّة الصَّوت. 2- حُسْن الصَّوتِ. 3- حُسْن الأدَاءِ. (54)

وقد وضع البخاري عنوانا "بَابُ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالنِّدَاءِ" وروى بسنده أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ، قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ... (55)

وعلق العيني في شرحه للحديث بقوله: فِيهِ اسْتِحْبَاب رفع الصَّوْت بِالْأَذَانِ ليكْثر من يشْهد لَهُ ولَو أذن على مَكَان مُرْتَفع ليَكُون أبعد لذهاب الصَّوْت، وَكَانَ بِلَال_ رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ_، يُؤذن على بَيت امْرَأَة من بني النجار، بَيتهَا أطول بَيت حول الْمَسْجِد. (56)

يقول ابن حجر في بيان معنى (فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ) :" أَيْ أَقْعَدُ فِي الْمَدِّ وَالْإِطَالَةِ وَالْإِسْمَاعِ لِيَعُمَّ الصَّوْتُ وَيَطُولَ أَمَدُ التَّأْذِينِ فَيَكْثُرُ الْجَمْعُ وَيَفُوتُ عَلَى الشَّيْطَانِ مَقْصُودُهُ مِنْ إِلْهَاءِ الْآدَمِيِّ عَنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ أَوْ إِخْرَاجِهَا عَنْ وَقْتِهَا أَوْ وَقْتِ فَضِيلَتِهَا فَيَفِرُّ حِينَئِذٍ وَقَدْ يَيْأَسُ عَنْ أَنْ يَرُدَّهُمْ عَمَّا أَعْلَنُوا ..." (57)

ويفسر العيني معنى أندي صوتا بقوله:"؛ أي: أرفع وأعلى، وقيل: أحسن وأعذب، وقيل: أبعد، ...وفيه دليل على أن من كان أرفع صوتا كان أولى بالأذان؛ لأنه إعلام، فكل من كان الإعلام بصوته أوقع كان به أحق وأجدر." (58)

وقال الشوكاني : " فِيهِ دَلِيلُ اسْتِحْبَابِ اتِّخَاذِ مُؤَذِّنٍ حَسَنِ الصَّوْتِ". (59)

ومما يدلل على اختيار المتخصص في الأذان على أساس حسن الصوت وجماله أن النبي ﷺ اختار أبا محذورة 60 من بين عشرة مؤذنين حيث روى الدارمي من طريق أَبِي مَحْذُورَةَ ، أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " أَمَرَ نَحْوًا مِنْ عِشْرِينَ رَجُلًا، فَأَذَّنُوا، فَأَعْجَبَهُ صَوْتُ أَبِي مَحْذُورَةَ، فَعَلَّمَهُ الْأَذَانَ: ... " [61]

وفي رواية لأحمد في "مسنده" قَالَ أَبُو مَحْذُورَةَ: خَرَجْتُ فِي عَشَرَةِ فِتْيَانٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَهُوَ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْنَا، فَأَذَّنُوا فَقُمْنَا (3) نُؤَذِّنُ نَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " ائْتُونِي بِهَؤُلَاءِ الْفِتْيَانِ " فَقَالَ: " أَذِّنُوا " فَأَذَّنُوا فَكُنْتُ أَحَدَهُمْ، (4) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " نَعَمْ، هَذَا الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ، اذْهَبْ فَأَذِّنْ لِأَهْلِ مَكَّةَ " .[62]

وفي رواية لابن خزيمة عَنْ أَبِي مَحْذُورَةَ قَالَ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ خَرَجْتُ عَاشِرَ عَشَرَةٍ مِنْ مَكَّةَ نَطْلُبُهُمْ فَسَمِعْتَهُمْ يُؤَذِّنُونَ بِالصَّلَاةِ، فَقُمْنَا نُؤَذِّنُ نَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَقَدْ سَمِعْتُ فِي هَؤُلَاءِ تَأْذِينَ إِنْسَانٍ حَسَنِ الصَّوْتِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا، فَأَذَّنَّا رَجُلًا رَجُلًا، فَكُنْتُ آخِرَهُمْ، فَقَالَ حِينَ أَذَّنْتُ: «تَعَالَ» ، فَأَجْلَسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَسَحَ عَلَى نَاصِيَتِي وَبَارَكَ عَلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ فَأَذِّنْ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ..." [63]

- اختيار الأكفاء في الإمارة واستبعاد من لا يصلح لذلك:

عندما طلب الصحابي الجليل أبو ذر_ رضي الله عنه_ من النبي ﷺ أن يُؤَمِّره فرفض النبي ﷺ ذلك وبرر له أنه لا يصلح لمثل هذا المنصب؛ لأن الولاية والإمارة أمانة وتحتاج للأقوياء الذين يتحملونها وأنه ضعيف لن يقوى عليها ولن يقوم بمقتضياتها وبالتالي ستكون عليه خزي وندامة، حيث روى مسلم في صحيحه من طريق أَبِي ذَرٍّ_ رضي الله عنه_ قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي ؟ قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ، ثُمَّ قَالَ : "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ ، إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا". [64]

وفي رواية أخرى لمسلم: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :" يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لاَ تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلاَ تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ". [65]

قال النووي:" هَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اجْتِنَابِ الْوِلَايَاتِ لَا سِيَّمَا لِمَنْ كَانَ فِيهِ ضَعْفٌ عَنِ الْقِيَامِ بِوَظَائِفِ تِلْكَ الْوِلَايَةِ وَأَمَّا الْخِزْيُ والندامة فهو في حَقِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لَهَا أَوْ كَانَ أَهْلًا وَلَمْ يَعْدِلْ فِيهَا فَيُخْزِيهِ اللَّهُ_ تَعَالَى_ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَفْضَحُهُ وَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَرَّطَ ..." [66]

وقد وضع البيهقي عنوانا بقوله: " فَصْلٌ فِي كَرَاهِيَةِ طَلَبِ الْإِمَارَةِ لِمَنْ كَانَ ضَعِيفًا يَخَافُ أَنْ لَا يُؤَدِّيَ فِيهَا الْأَمَانَةَ". [67]

ويعلق الطحاوي على حديث أبي ذر بقوله: فَوَقَفْنَا بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي بِهِ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا ذَرٍّ عَمَّا نَهَاهُ عَنْهُ ... ، وَإِنَّهُ لِمَعْنًى فِيهِ نَقَصَ بِهِ عَنْ رُتْبَةِ الْقَضَاءِ مِمَّا كَانَ ضِدُّهُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِمَّا اسْتَحَقَّ بِهِ وِلَايَةَ الْقَضَاءِ" [68]

بينما إذا كان الرجل يستحق هذا المنصب ويستطيع القيام بأعبائه فنجد النبي ﷺ يختاره لذلك حيث أرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل_ رضي الله عنهما_ ليحكما اليمن فقد روى مسلم في صحيحه من طريق أبي موسى الأشعري_ رضي الله عنه قال_: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلاَنِ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِي ، وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِي، فَكِلاَهُمَا سَأَلَ الْعَمَلَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَسْتَاكُ، فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى؟ أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَطْلَعَانِي عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمَا، وَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَانِ الْعَمَلَ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى سِوَاكِهِ تَحْتَ شَفَتِهِ، وَقَدْ قَلَصَتْ، **فَقَالَ: لَنْ أَوْ لاَ نَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى ، أَوْ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ ، فَبَعَثَهُ عَلَى الْيَمَنِ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ...** (69)

وكذلك أسند النبي ﷺ مهمة القضاء لعلي_ رضي الله عنه_ : روى أبو داود في سننه من طريق عَلِيٍّ_ رضي الله عنه_، قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ، فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ، كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ»، قَالَ: «فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا، أَوْ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ» .(70)

ويعلق الطيبي على الحديث بقوله: "وَلَا شَكَّ أَنَّهُ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_ حِينَ بَعَثَهُ قَاضِيًا كَانَ عَالِمًا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، كَمَعَاذٍ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_، وَقَوْلُهُ: أَنَا حَدِيثُ السِّنِّ، اعْتِذَارٌ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْفِكْرِ وَاجْتِهَادِ الرَّأْيِ مِنْ قِلَّةِ تَجَارِبِهِ، وَلِذَلِكَ أَجَابَ بِقَوْلِهِ: سَيَهْدِي قَلْبَكَ ؛ أَيْ يُرْشِدُكَ إِلَى طَرِيقِ اسْتِنْبَاطِ الْقِيَاسِ بِالرَّأْيِ الَّذِي مَحَلُّهُ قَلْبُكَ فَيَنْشَرِحُ صَدْرُكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ فَلَا تَقْضِي إِلَّا بِالْحَقِّ. " (71)

- تخصص زيد بن ثابت في جمع القرآن الكريم في موضع واحد على عهد أبي بكر الصديق:

روى البخاري في "صحيحه" بسنده أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – وَكَانَ مِمَّنْ يَكْتُبُ الوَحْيَ – قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي، فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِالنَّاسِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ فِي المَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ إِلَّا أَنْ تَجْمَعُوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَعَ القُرْآنَ "، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ لِعُمَرَ: «كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟» فَقَالَ عُمَرُ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي فِيهِ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ لِذَلِكَ صَدْرِي، وَرَأَيْتُ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: وَعُمَرُ عِنْدَهُ جَالِسٌ لاَ يَتَكَلَّمُ، **فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، وَلاَ نَتَّهِمُكَ، «كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ »**، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ: «كَيْفَ تَفْعَلاَنِ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ النَّبِيُّ ﷺ ؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ أَزَلْ أُرَاجِعُهُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقُمْتُ فَتَتَبَّعْتُ

القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ وَالأَكْتَافِ، وَالعُسُبِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة: 128] إِلَى آخِرِهِمَا، وَكَانَتِ الصُّحُفُ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا القُرْآنُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ. (72)

فاختيار زيد بن ثابت_ رضي الله عنه_ لجمع القرآن الكريم دون غيره دليل على اختيار المتخصص للمهمات الصعبة الشاقة كيف لا وهو القرآن الكريم كتاب الله_ تعالى_ ودستور الأمة ولذلك وصف زيد بن ثابت ذلك بقوله : فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفَنِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ" ومما يدلل على حسن توفيق أبي بكر_ رضي الله عنه_ في هذا الاختيار ومعرفته التامة بالرجال وصفه لزيد بأنه شاب، عاقل، ثقة ، كان يكتب القرآن على عهد النبي ﷺ ،

يقول الطيبي : " فيه إِشَارَةً إِلَى الْقُوَّةِ، وَحِدَّةِ النَّظَرِ، وَقُوَّةِ الضَّبْطِ، وَالْحِفْظِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالدِّيَانَةِ". (73)

ولذلك يعلق ابن حجر على ذلك بقوله: " ذَكَرَ لَهُ أَرْبَعَ صِفَاتٍ مُقْتَضِيَةٍ خُصُوصِيَّتَهُ بِذَلِكَ كَوْنُهُ شَابًّا فَيَكُونُ أَنْشَطَ لِمَا يُطْلَبُ مِنْهُ وَكَوْنُهُ عَاقِلًا فَيَكُونُ أَوْعَى لَهُ وَكَوْنُهُ لَا يُتَّهَمُ فَتَرْكَنُ النَّفْسُ إِلَيْهِ وَكَوْنُهُ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ فَيَكُونُ أَكْثَرَ مُمَارَسَةً لَهُ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ الَّتِي اجْتَمَعَتْ لَهُ قَدْ تُوجد فِي غَيره لَكِن مفرقة". (74) ويقول القسطلاني: " فيه إشارة إلى نشاطه وقوّته فيما يطلب منه وبعده عن النسيان يعي المراد ولا يتهم بكذب ولا نسيان، والذي لا يتهم تركن النفس إليه، وكان ممن يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فهو أكثر ممارسة له من غيره فجمع هذه الخصوصيات الأربعة فيه يدل على أنه أولى بذلك ممن لم تجتمع فيه". (75)

وقال القسطلاني أيضاً مبيناً سبب اختيار زيد :" أشار به إلى حدّة نظره وبُعده عن النسيان وضبطه وإتقانه وإلى عدم كذبه وأنه صدوق ، وفيه تمام معرفته وغزارة علومه وشدّة تحقيقه وتمكنه من هذا الشأن". (76)

-تعلم قراءة القرآن من المتخصصين:

روى البخاري ومسلم في "صحيحيهما" من طريق مَسْرُوقٍ ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو فَذَكَرْنَا حَدِيثًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَقَالَ : إِنَّ ذَاكَ الرَّجُلَ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : "خُذُوا الْقُرْآنَ مِن أَرْبَعَةِ نَفَرٍ : مِن ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ ، فَبَدَأَ بِهِ ، وَمِنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمِنْ سَالِمٍ ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ، وَمِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ". (77)

وفي رواية «اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ». (78)

وفي رواية لمسلم:" اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ فَبَدَأَ بِهِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيٍّ بْنِ كَعْبٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ". (79)

ويعلق الإمام النووي بقوله:" قَالَ الْعُلَمَاءُ سَبَبُهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ أَكْثَرُ ضَبْطًا لِأَلْفَاظِهِ وَأَتْقَنُ لِأَدَائِهِ وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُمْ أَفْقَهَ فِي مَعَانِيهِ مِنْهُمْ أَوْ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةُ تَفَرَّغُوا لِأَخْذِهِ مِنْهُ ﷺ مُشَافَهَةً وَغَيْرُهُمُ اقْتَصَرُوا عَلَى أَخْذِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ أَوْ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ تَفَرَّغُوا لِأَنْ يُؤْخَذَ عَنْهُمْ أَوْ أَنَّهُ ﷺ أَرَادَ الْإِعْلَامَ بِمَا يَكُونُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ مِنْ تَقَدُّمِ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَتَمَكُّنِهِمْ وَأَنَّهُمْ أَقْعَدُ من غيرهم في ذلك فليؤخذ عنهم".(80)

وقال العيني: " وَتَخْصِيص الْأَرْبَعَة لكَوْنهم تفرغوا للأخذ مِنْهُ". (81)

ومما يدلل على تخصص ابن مسعود_ رضي الله عنه_ شهادة الصحابة الكرام له

حيث روى مسلم في صحيحه من طريق أبي الأحوص قَالَ: كُنَّا فِي دَارِ أَبِي مُوسَى مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ فِي مُصْحَفٍ ، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ : مَا أَعْلَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ تَرَكَ بَعْدَهُ أَعْلَمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ هَذَا الْقَائِمِ ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى : أَمَا لَئِنْ قُلْتَ ذَاكَ ، لَقَدْ كَانَ يَشْهَدُ إِذَا غِبْنَا ، وَيُؤْذَنُ لَهُ إِذَا حُجِبْنَا. (82)

وقد أقر الصحابة الكرام بمكانته وتضلعه في قراءة القرآن وفهمه حيث روى مسلم في صحيحه من طريق شَقِيقٍ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ، أَنَّهُ قَالَ : ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ، ثُمَّ قَالَ : عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ ؟ فَلَقَدْ قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً ، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ_ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ ، أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ. قَالَ شَقِيقٌ : فَجَلَسْتُ فِي حَلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَعِيبُهُ.(83)

وفي رواية لمسلم قال عَبْد الله بن مسعود رضي الله عنه:" وَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ مَا مِنْ كِتَابِ اللهِ سُورَةٌ إِلاَّ أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلاَّ أَنَا أَعْلَمُ فِيمَا أُنْزِلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي ، تَبْلُغُهُ الإِبِلُ ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ ". (84)

ويعلق النووي على ذلك بقوله: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَازُ ذِكْرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِالْفَضِيلَةِ وَالْعِلْمِ وَنَحْوِهِ لِلْحَاجَةِ وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ فَإِنَّمَا هُوَ لِمَنْ زَكَّاهَا وَمَدَحَهَا لِغَيْرِ حَاجَةٍ بَلْ لِلْفَخْرِ وَالْإِعْجَابِ وَقَدْ كَثُرَتْ تَزْكِيَةُ النَّفْسِ مِنَ الْأَمَاثِلِ عِنْدَ الْحَاجَةِ كَدَفْعِ شَرٍّ عَنْهُ بِذَلِكَ أَوْ تَحْصِيلِ مَصْلَحَةٍ لِلنَّاسِ أَوْ تَرْغِيبٍ فِي أَخْذِ الْعِلْمِ عَنْهُ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَمِنَ الْمَصْلَحَةِ قَوْلُ يُوسُفُ ﷺ : اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إني حفيظ عليم وَمِنْ دَفْعِ الشَّرِّ قَوْلُ عُثْمَانُ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_ فِي وَقْتِ حِصَارِهِ أَنَّهُ جَهَّزَ

جَيْشَ الْعُسْرَةِ وَحَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ وَمِنَ التَّرْغِيبِ قَوْلُ بن مَسْعُودٍ هَذَا وَقَوْلُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي وَقَوْلُ غَيْرِهِ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ وَأَشْبَاهُهُ وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالذَّهَابِ إِلَى الْفُضَلَاءِ حَيْثُ كَانُوا وَفِيهِ أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يُنْكِرُوا قَوْلَ بن مَسْعُودٍ أَنَّهُ أَعْلَمُهُمْ وَالْمُرَادُ أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَغَيْرِهِمْ بِالسُّنَّةِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ يَكُونُ وَاحِدٌ أَعْلَمُ مِنْ آخَرَ بِبَابٍ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ بِنَوْعٍ وَالْآخَرُ أَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةِ وَقَدْ يَكُونُ وَاحِدٌ أَعْلَمُ مِنْ آخَرَ وَذَاكَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ بِزِيَادَةِ تَقْوَاهُ وَخَشْيَتِهِ وَوَرَعِهِ وَزُهْدِهِ وَطَهَارَةِ قَلْبِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةَ كل منهم أفضل من ابن مَسْعُودٍ ".[85]

وروى ابن ماجه في "سننه " من طريق عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، بَشَّرَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ». (86)

وفي رواية لأحمد بسنده المتصل عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ، عَلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَقَامَ فَتَسَمَّعَ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ رَكَعَ عَبْدُ اللهِ، وَسَجَدَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ "، قَالَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: " مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ، فَلْيَقْرَأْهُ مِنَ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ ". قَالَ: فَأَدْلَجْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ لِأُبَشِّرَهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قَالَ: فَلَمَّا ضَرَبْتُ الْبَابَ – أَوْ قَالَ: لَمَّا سَمِعَ صَوْتِي – قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لِأُبَشِّرَكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ . قَالَ: قَدْ سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ. قُلْتُ: إِنْ يَفْعَلْ فَإِنَّهُ سَبَّاقٌ بِالْخَيْرَاتِ، مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلَّا سَبَقَنَا إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ . [87]

– الحرص على إعداد متخصصين في لغة العدو:

روى ابن حبان في صحيحه من طريق زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أَتُحْسِنُ السُّرْيَانِيَّةَ [88]؟ " قُلْتُ: لَا، قَالَ: "فَتَعَلَّمْهَا فَإِنَّهُ تَأْتِينَا كُتُبٌ" قَالَ: فتعلمتها في سبعة عشر يوما، قَالَ الْأَعْمَشُ: كَانَتْ تَأْتِيهِ كُتُبٌ لَا يَشْتَهِي أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ يَثِقُ بِهِ. [89]

ويقول أبو جعفر الطحاوي:" فَتَأَمَّلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ فَوَجَدْنَا مَا كَانَ يَرِدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ كُتُبِ يَهُودَ بِالسُّرْيَانِيَّةِ إِنَّمَا كَانَ يَقْرَؤُهُ لَهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ كَانُوا يَحْضُرُونَهُ ، وَهُمْ غَيْرُ مَأْمُونِينَ عَلَى كِتْمَانِهِ بَعْضَ مَا فِيهِ ، وَغَيْرُ مَأْمُونِينَ عَلَى تَحْرِيفِ مَا فِيهِ إِلَى مَا يُرِيدُونَ ، وَكَانَ مَا يَنْفُذُ مِنْ كُتُبِهِ إِلَى الْيَهُودِ جَوَابًا لِكُتُبِهِمْ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَتَحْتَاجُ الْيَهُودُ الْوَارِدَةُ عَلَيْهِمْ إِلَى مَنْ يُحْسِنُ الْعَرَبِيَّةَ لِيَقْرَأَهُ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ كَانُوا لَا يُحْسِنُونَ الْعَرَبِيَّةَ ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يُحَرِّفَ مَا فِي كُتُبِهِ إِلَيْهِمْ إِلَى مَا يُرِيدُ ، لَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَا خَفَاءَ بِهِ ، وَفِي قُلُوبِهِمْ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ

مَا فِيهَا ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدًا أَنْ يَتَعَلَّمَ لَهُ السُّرْيَانِيَّةَ لَيَقْرَأَ كُتُبَهُمْ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ قِرَاءَةً ، فَيَأْمَنَ بِهَا كِتْمَانَ مَا فِيهَا ، وَيَأْمَنَ بِهَا تَحْرِيفَ مَا فِيهَا ، وَيَكُونَ كِتَابُهُ ﷺ إِذَا وَرَدَ عَلَى الْيَهُودِ وَرَدَ عَلَيْهِمْ كِتَابٌ يَقْرَؤُهُ عَامَّتُهُمْ ، يَأْمَنُ فِيهِ مِنْ كِتْمَانِ بَعْضِ مَا فِيهِ ، وَمِنْ تَحْرِيفِ مَا فِيهِ إِلَى غَيْرِ مَا كَتَبَ بِهِ ، فَهَذَا وَجْهُ هَذَا الْحَدِيثِ عِنْدَنَا ، وَاللهَ عَزَّ وَجَلَّ نَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ" (90)

وقد استنبط عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي من حديث زيد مجموعة من الفوائد والأحكام: منها أن كل قوم تربط بينهم المصالح لا بد لهم من التعاون، ولا يتم التعاون إلا بالتفاهم، والتفاهم بالمشافهة والكتابة، فعلى القوم المترابطين بالمصلحة أن يفهموا بعضهم لغة بعض وخطه. وبقدر ما تكثر الأقوام المترابطة بالمصلحة تكثر اللغات والخطوط ويلزم تعلمها؛ لأن العلة هي الحاجة. وسواء كانت المصلحة التي تربط الأقوام عمرانية أو علمية... فنحن اليوم وقد ربطت بيننا وبين أمم أخرى مصالح، علينا أن نعرف لغتهم وخطهم، كما عليهم هم أن يعرفوا لغتنا وخطنا.

وهذه السنة أصل في اتخاذ الكتبة والتراجمة في الدولة، وما يشترط فيهم من العلم والأمانة.

و كان في إمكان النبي ﷺ أن يكاتبهم بالخط العربي، ويلزمهم أن يكاتبوه به، ولكن تسامح الإسلام واحترامه لمحترمات الأمم في دينهم وقوميتهم قضيا بترك اليهود يكتبون ويكاتبون بخطهم، فأقرهم النبي ﷺ على ما أرادوا، وكلف هو من تعلم خطهم، وتركها لاتباعه سنة بعده. (91)

ولذلك فزيد بن ثابت الأنصاري تخصص في أكثر من مجال حيث " كتب الوحي لرسول الله ﷺ ، وجمع القرآن في عهد أبي بكر_ رضي الله عنه_، والسريانية في سبعة عشر يومًا بأمره عليه الصلاة والسلام، وكان من علماء الصحابة وبخاصة في المواريث " . (92)

-تخصص الكتابة للحديث:

كان بعض الصحابة متخصصاً بكتابة الحديث ، وكان النبي ﷺ يحضهم على الاستمرار في الكتابة ومن هؤلاء الصحابة الكرام عبد الله بن عمرو بن العاص_ رضي الله عنهما_ حيث روى أحمد في مسنده من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ: " اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَّا حَقٌّ ". (93)

وروى البخاري في صحيحه من طريق أَبي هُرَيْرَةَ_ رضي الله عنه_ قال: «مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ». (94)

-تخصص البعض بكتابة الوحي:

اتخذ النبي ﷺ كتَّابا للوحي، فَمِنْهُمُ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ، أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ_، ومنهم أبو أيوب الأنصاري، و خالد بن زيد، وأُبيُّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، ومعاذ بن جبل وغيرهم. (95)

قال ابن حجر: "وَقَدْ كَتَبَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ لَهُ بِالْمَدِينَةِ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ لَهُ بِمَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ثُمَّ ارْتَدَّ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْإِسْلَامِ يَوْمَ الْفَتْحِ وَمِمَّنْ كَتَبَ لَهُ فِي الْجُمْلَةِ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ وَخَالِدٌ وَأَبَانُ ابْنَا سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَسَدِيُّ وَمُعَيْقِيبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَرْقَمِ الزُّهْرِيُّ وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ... " (96)

ومنهم من كان يكتب في بعض الأحيان، ومنهم من كان منقطعًا للكتابة، ومتخصصًا لها، ويُعَدُّ زيد بن ثابت من المتفرغين لكتابة الوحي والمتخصصين في ذلك لدرجة أن البخاري ترجم لأحد أبوابه بقوله:" بَابُ كَاتِبِ النَّبِيِّ ﷺ ".(97)

ووضع تحته حديثين رواهما بسنده المتصل الأول: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، قَالَ: أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_ قَالَ: إِنَّكَ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاتَّبِعِ القُرْآنَ، " فَتَتَبَّعْتُ حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ آيَتَيْنِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهُمَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (98)إِلَى آخِرِهِ ". (99)

الثاني : عن البراء بن عازب قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لاَ يَسْتَوِي﴾ القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «ادْعُ لِي زَيْدًا وَلْيَجِئْ بِاللَّوْحِ وَالدَّوَاةِ وَالكَتِفِ – أَوِ الكَتِفِ وَالدَّوَاةِ –» ثُمَّ قَالَ: " اكْتُبْ ﴿لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ﴾ " وَخَلْفَ ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَى، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنِي، فَإِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ البَصَرِ؟ فَنَزَلَتْ مَكَانَهَا: ﴿لاَ يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. (100)(101)

ويقول ابن حجر: "وَأَمَّا بِالْمَدِينَةِ فَأَكْثَرُ مَا كَانَ يَكْتُبُ زَيْدٌ وَلِكَثْرَةِ تَعَاطِيهِ ذَلِكَ أُطْلِقَ عَلَيْهِ الْكَاتِبُ بِلَامِ الْعَهْدِ ". (102)

ويقول علي الهروي: زيد بن ثابت الأنصاري الخزرجي، كان أكثر الكتاب ملازمةً للكتابة؛ حيث لا عمل له غير ذلك، ولكثرة تعاطيه ذلك خصه البخاريُ في صحيحه بتسميته "كاتب النبي ﷺ ". (103)

- التخصص بكتابة رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء وغيرهم :

وقد تخصص بكتابة رسائل النبي ﷺ مجموعة من الصحابة منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم الزهري وغيرهما، ولكن عبد الله بن الأرقم المتخصص الأول بكتابة رسائل النبي ﷺ حيث كان من المواظبين على كتب الرسائل وبلغت ثقة النبي ﷺ وأمانته به أنه لم يكن يراجع ورائه حيث روى الطبراني والبيهقي بسنديهما المتصل عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ_ رَضِيَ اللهُ_ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَكْتَبَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَرْقَمَ فَكَانَ يَكْتُبُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَرْقَمَ ، وَكَانَ يُجِيبُ عَنْهُ الْمُلُوكَ ، فَبَلَغَ مِنْ أَمَانَتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ فَيَكْتُبَ، ثُمَّ يَأْمُرُهُ أَنْ يَكْتُبَ وَيَخْتِمَ وَلَا يَقْرَأَه – لِأَمَانَتِهِ عِنْدَهُ – ثُمَّ اسْتَكْتَبَ أَيْضًا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَكَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ ، وَيَكْتُبُ إِلَى الْمُلُوكِ أَيْضًا ، وَكَانَ إِذَا غَابَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَرْقَمَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَاحْتَاجَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى بَعْضِ أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ وَالْمُلُوكِ ، أَوْ يَكْتُبَ لِإِنْسَانٍ كِتَابًا يُقْطِعَهُ [104]، أَمَرَ جَعْفَرًا أَنْ يَكْتُبَ، وَقَدْ كَتَبَ لَهُ عُمَرُ وَعُثْمَانُ ... [105]

-التخصص الإعلامي للنبي ﷺ :

حيث كان للدعوة الإسلامية شعراء يدافعون عنها، ويردون الاتهامات، فكان منهم عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، وكان لحسان بن ثابت دور ريادي وخصوصية أكثر من غيره، ولذلك كان النبي ﷺ يحضه ويحرضه ويدعو الله أن يؤيده ويسدد قوله في نصرة الحق وخذلان المشركين .

روى البخاري ومسلم في " صحيحيهما " بسندهما المتصل أَنَّ عُمَرَ ، مَرَّ بِحَسَّانَ وَهُوَ يُنْشِدُ الشِّعْرَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَلَحَظَ إِلَيْهِ، فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أُنْشِدُ ، وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ : أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَسَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : أَجِبْ عَنِّي ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ. [106]

وفي رواية عن أبي سلمة بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَنَّهُ سَمِعَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ ، يَسْتَشْهِدُ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ ، يَقُولُ : يَا حَسَّانُ أَجِبْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : نَعَمْ. [107]

وفي رواية عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ : اهْجُهُمْ ، أَوْ هَاجِهِمْ ، وَجِبْرِيلُ مَعَكَ. [108]

وفي رواية لمسلم عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ : اهْجُوا قُرَيْشًا ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ : اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ حَسَّانُ : قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا

الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لاَ تَعْجَلْ ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا ، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا ، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ.قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ لِحَسَّانَ : إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَقَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى. (109)

وفي رواية للبخاري في "صحيحه" بسنده المتصل عن هشام بن عروة عن أبيه عَنْ عَائِشَةَ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا_، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيَّ ﷺ فِي هِجَاءِ المُشْرِكِينَ قَالَ: «كَيْفَ بِنَسَبِي» فَقَالَ حَسَّانُ: لَأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ العَجِينِ، وَعَنْ أَبِيهِ قَالَ: ذَهَبْتُ أَسُبُّ حَسَّانَ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: «لاَ تَسُبَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ». (110)

ومما يدل على أن المتخصص الإعلامي أولى بالرد على العدو من غيره، ويشهد لذلك ما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق البراء بن عازب وغيره أنه قيل لعلىّ بن أبى طالب: اهْجُ عَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ يَهْجُونَنَا، فَقَالَ: إِنْ أذن لي رسول الله ﷺ فَعَلْتُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لَهُ. فقال رسول الله ﷺ : إِنَّ عَلِيًّا لَيْسَ عِنْدَهُ مَا يُرَادُ فِي ذلك منه، أو: ليس في ذلك لك. ثُمَّ قَالَ: مَا يَمْنَعُ الْقَوْمُ الَّذِينَ نَصَرُوا رسول الله ﷺ بِسِلاحِهِمْ أَنْ يَنْصُرُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ؟ فَقَالَ حَسَّانٌ: أَنَا لَهَا، وَأَخَذَ بِطَرْفِ لِسَانِهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ ما يسرّنى به مقول بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ... (111)

- **تخصص في علم الأنساب :**

يُعَدُّ أبو بكر من المتخصصين في علم الأنساب وبخاصة أنساب قريش ، وقد أكد النبي ﷺ على أن أبا بكر الصديق هو أعلم قريش بأنسابها حيث روى مسلم في صحيحه من طريق عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : اهْجُوا قُرَيْشًا ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ، فَقَالَ : اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضِ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ ، قَالَ حَسَّانُ : قَدْ آنَ لَكُمْ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ بِلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : لاَ تَعْجَلْ ، **فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا** ، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا ، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي فَأَتَاهُ حَسَّانُ ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، قَدْ لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ ... [112] وفي رواية لابن عبد البر : فَكَانَ يَمْضِي – يعني حسان – إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِيَقِفَ عَلَى أَنْسَابِهِمْ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ: كُفَّ عَنْ فُلانَةَ وَفُلانَةَ، وَاذْكُرْ فُلانَةَ وَفُلانَةَ، فَجَعَلَ حَسَّانٌ يَهْجُوهُمْ. فَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشٌ شِعْرَ حَسَّانٍ قَالُوا: إِنَّ هَذَا الشِّعْرَ مَا غَابَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، أَوْ: مِنْ شِعْرِ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ.[113]

وقال المزي: وقد كَانَ جُبَيْر بن مطعم من أنسب قريش وللعرب قاطبة، وكان يَقُولُ: إنما أخذت النسب عَنْ أَبِي بَكْر الصديق. [114]

وقال السيوطي:" وكان الصديق –رضي الله عنه– مع ذلك أعلم الناس بأنساب العرب، لا سيما قريش ". [115]

- **التخصص بفن الخطابة :**

حيث تخصص ثابت بن قيس بالخطابة في حياة النبي ﷺ :

روى مسلم في صحيحه من طريق أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ:" كَانَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ خَطِيبَ الْأَنْصَارِ ". [116]

قال ابن حزم : "وثابت بن قيس بن الشماس بن أبي زهير، خطيب رسول الله ﷺ استشهد يوم اليمامة، وهو ممن شهد له بالجنة ". [117]

وقال العيني: " وثابت بن قيس بن شماس بن مَالك بن امرىء الْقَيْس الخزرجي، وَكَانَ خطيب الْأَنْصَار، وَيُقَال: خطيب رَسُول الله ﷺ ، كَمَا يُقَال لحسان بن ثَابت: شَاعِر رَسُول الله ﷺ ". [118]

وروى البخاري في صحيحه من طريق عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ قَدِمَ المَدِينَةَ فَنَزَلَ فِي دَارِ بِنْتِ الحَارِثِ، وَكَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ كُرَيْزٍ؛ وَهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: خَطِيبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... [119]

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق ابْنِ عَبَّاسٍ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا_، قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ_ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ_ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ قِطْعَةُ جَرِيدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ، مَا رَأَيْتُ، **وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي**» ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْه... (120)

وروى ابن حبان في صحيحه من طريق زَيْدِ بن أسلم، قال: سمعت ابن عُمَرَ يَقُولُ: قَامَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ خَطِيبَيْنِ، فَتَكَلَّمَا، ثُمَّ قَعَدَا، فَقَامَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ خَطِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَتَكَلَّمَ فَعَجِبُوا مِنْ كَلَامِهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَ، فَقَالَ:" أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ فَإِنَّمَا تَشْقِيقُ الْكَلَامِ مِنَ الشيطان، فإن من البيان سحرا". (121)

- التخصص العسكري:

هناك من الصحابة_ رضوان الله عليهم_ من سخروا حياتهم للجهاد في سبيل الله_ تعالى_ فلقد كان خالد بن الوليد من المتميزين في العسكرية الجهادية سواء كان جندياً أم قائداً وقد وصفه النبي ﷺ بأنه سيف من سيوف الله_ تعالى_ سلطه الله على أعدائه من الكفار والمنافقين حيث روى البخاري في "صحيحه" بسنده المتصل عَنْ أَنَسٍ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. (122)

وروى أحمد في "مسنده" من طريق وَحْشِيّ بْنِ حَرْب بْنِ وَحْشِيٍّ بْنِ حَرْب، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ وَحْشِيٍّ بْنِ حَرْب: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ_ رَضِيَ اللهُ _عَنْهُ عَقَدَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ ، وَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، يَقُولُ: " نِعْمَ عَبْدُ اللهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ سَلَّهُ اللهُ_ عَزَّ وَجَلَّ _عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ". (123)

-التخصص في الحِجَامة: (124)

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من طريق أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ_ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ_، قَالَ: حَجَمَ أَبُو طَيْبَةَ (125) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، «فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ...». (126) وفي رواية لمسلم من طريق أنس_ رضي الله عنه_ قال:: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ غُلاَمًا لَنَا حَجَّامًا ، فَحَجَمَهُ ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَاعٍ ... (127)

وفي رواية لمسلم من طريق جابر بن عبد الله_ رضي الله عنهما_ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ، اسْتَأْذَنَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْحِجَامَةِ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا طَيْبَةَ أَنْ يَحْجُمَهَا، قَالَ : حَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ أَخَاهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ ، أَوْ غُلاَمًا لَمْ يَحْتَلِمْ. (128)

هذه الروايات تدل دلالة واضحة على تخصص أبي طيبة في الحجامة ، ولذلك حينما احتاج النبي ﷺ لعمل الحجامة أرسل له، ودل عليه ونصح من يحتاج لعمل الحجامة بأن يتوجه إليه. وهذا مما ينعكس إيجاباً على الفرد بحيث يشعر بالطمأنينة، والراحة ، وتحقيق الشفاء بإذن الله _تعالى_.

المبحث الثالث: الآثار الإيجابية المنعكسة على المجتمع عند اعتبار التخصص، والآثار السلبية المترتبة في حال عدم اعتباره.

إن اعتبار التخصص في المهمات المختلفة، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، له آثاره الإيجابية المنعكسة على المجتمع، حيث يشعر المجتمع بالأمن والطمأنينة وتوفير الجهد والمال والوقت، والازدهار، ويحقق الاكتفاء الذاتي فيصبح سيد قراره لا يتحكم فيه أحد، ولذلك فاختيار القائد العسكري الورع، المتخصص بالخطط العسكرية وفنون القتال يشعر المجتمعَ بالأمن والأمان والطمأنينة، وأنه مجتمع قوي لا يستطيع أحدٌ أن يعتدي عليه؛ ولذلك قال النبي ﷺ في حق خالد بن الوليد: " نِعْمَ عَبْدُ اللهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ سَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ". (129)

ووضع غير المتخصص في فنون القتال ومَنْ ليس له خبرة ودراية في الخطط العسكرية يجعل المجتمع يعيش حالة من الخوف والرعب والتوتر وعدم الاطمئنان.

واختيار المتخصص في صنعة معينة، يوفر على المجتمع المال والجهد والوقت؛ حيث إنه ينجز ما يكلف به بدقة وبسرعة، بخلاف غير المتخصص الذي ربما يُخَرِّب وبالتالي يضيع الوقت والمال والجهد؛ ولذلك لما كان الصحابة_ رضوان الله عليهم_ يبنون المسجد وجاء طلق بن علي الحنفي فأخذ يخلط الطين فأعجب به النبي ﷺ فقال :" دَعُوا الْحَنَفِيَّ وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطُكُمْ لِلطِّينِ ". (130)

ولنتصور لو أن المرضى يذهبون إلى غير المتخصصين في الطب ، أو أن غير الأطباء يعالجون المرضى فكيف سيكون حال المجتمع ؛ لذلك يقول النبي ﷺ :«مَنْ تَطَبَّبَ، وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ، فَهُوَ ضَامِنٌ».(131)

وكيف سيكون حال المجتمع ومصيره عندما يحكمه الجاهل؟ وعندما تصدر القرارات غير المدروسة والموزونة، أليس هذا فيه هلاك للمجتمع ؟ ولذلك حذر النبي ﷺ من الرويبضة الذي

يتحكم في أمر العامة حيث قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتُ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» ، قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ». (132)

وقد أشار النبي ﷺ إلى خطورة عدم اختيار المتخصص سواء في الحكم أو القضاء أو الافتاء وغيرها من الأمور السيادية فإن ذلك ينذر بقرب الساعة وهي لا تقوم إلا على شرار الخلق حيث قال ﷺ :" إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». (133)، وقال أيضاً: " لا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ... " (134)

وإن أفضل الطرق لسلامة الصدور والرضى وعدم التأفف والشعور بالاستقرار النفسي والشعور بالعدل هو اختيار المتخصص عبر الخضوع لاختبارات في تخصصه ولذلك وجدنا النبي ﷺ يختار أفضل الأصوات من بين عشرة استمع لهم واحداً تلو الآخر حتى وقع اختياره على أفضلهم صوتاً فاختاره للأذان حيث قال أبو مَحْذُورَةَ : لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ خَرَجْتُ عَاشِرَ عَشَرَةٍ مِنْ مَكَّةَ نَطْلُبُهُمْ فَسَمِعْتَهُمْ يُؤَذِّنُونَ بِالصَّلَاةِ، فَقُمْنَا نُؤَذِّنُ نَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " لَقَدْ سَمِعْتُ فِي هَؤُلَاءِ تَأْذِينَ إِنْسَانٍ حَسَنِ الصَّوْتِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا، فَأَذَّنَّا رَجُلًا رَجُلًا، فَكُنْتُ آخِرَهُمْ، فَقَالَ حِينَ أَذَّنْتُ: «تَعَالَ» ، فَأَجْلَسَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَسَحَ عَلَى نَاصِيَتِي وَبَارَكَ عَلَيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ فَأَذِّنْ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ..." (135)

ولذلك فإن المجتمع المتماسك ، القوي، الآمن ، الذي يصبو نحو الأمثل والأفضل والتقدم والرقي هو الذي يحرص على التخصص، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، أما إن قلبت الموازين وتدخلت الواسطة وكانت هي المعيار في الوظائف الحكومية والخاصة دون النظر إلى التخصص فهذا ينذر بمجتمع ضعيف هالك مفتت؛ ذليل لأنه يستجدي الآخرين ويتحكمون في قراره .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أما بعد...

فقد خلص الباحث إلى النتائج التالية:

- إن التخصص أصل له النبي ﷺ واهتم به وحرض عليه مما يدل على أهميته ومكانته وعلو شأنه وانعكاسه الإيجابي على المجتمع.
- إن إرشاد النبي ﷺ وتوجيهه نحو الاهتمام بالتخصصات المفيدة التي في عصره لهي دلالة واضحة إلى الاهتمام بباقي التخصصات التي تستجد في حياة الناس.

- الصوت الجميل في الأذان يجلب المصلين ويريح النفس ويشجع أكثر على أداء العبادة.
- ينبغي على المؤسسات الحكومية والخاصة أن تُعْنى بالمتخصصين وتهتم بهم فهم أقدر على خدمة المجتمع ورقيه.
- إن تعلم العلم من المتخصصين وقراءة القرآن من المتقنين له الأثر الواضح في المعرفة الصحيحة والنطق السليم لآيات الله عز وجل.
- إن عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وبخاصة في مجال الحكم لهو مؤشر واضح على دمار المجتمع وفساده.
- ينبغي أن يكون لدى الدولة والمؤسسات الخاصة خبراء في اللغات الأخرى لينقلوا الفكر الإسلامي الصحيح إلى تلكم المجتمعات فيساهموا في نشر الدعوة الإسلامية .
- اختيار الخطباء الأكفاء المتخصصين في فن الخطابة والإلقاء له دور كبير في توصيل الفكرة الإسلامية بشكل صحيح ويعمل أيضاً على فهم الإسلام وجذب الناس وحرصهم على حضور ما يفيدهم وينفعهم.
- هناك أناس متميزون في القيادة العسكرية ومتفننون في وضع الخطط العسكرية المتميزة التي تقود إلى النصر والتمكين، ينبغي الاهتمام بهم وإعطائهم دورهم ومكانتهم.
- إن تكليف المتخصص بالأعمال المناسبة لتخصصه يوفر الجهد والمال والوقت.
- إن تعدد التخصصات وتنوعها له أثر إيجابي على المجتمع المسلم وهو أن يكتفي ذاتياً بحيث لا يحتاج إلى الآخرين ولا يسمح لأحد بأن يبتزه ويؤثر على قراره.
- إن الاهتمام بالتخصص يعني ازدهار الأمة وتقدمها وتفوقها على الآخرين وبيان لعظمة هذا الدين الذي يحرص على العلم ويهتم به وينميه.

التوصيات

- يوصي الباحث الإخوة القائمين على المؤسسات الحكومية والخاصة بضرورة الموضوعية في اختيار الأشخاص بحيث يكون الأساس الأول للاختيار هو المتخصص، بقطع النظر عن اللون أو الانتماء .
- يوصى الباحث الإخوة الباحثين بالاهتمام بالسنة النبوية واستخراج كنوزها بما يخدم المجتمع.
- يوصي الباحث الجامعات الفلسطينية والعربية والإسلامية باستحداث تخصصات جديدة متميزة تفيد المجتمع وتفتح آفاق العمل للخريجين والخريجات.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

1. **ابن الأثير**، أبو الحسن الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الفكر – بيروت. بدون طبعة.
2. **ابن بطال**، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخارى لابن بطال، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد– الرياض،1423هـ.
3. **ابن حبان**، البستي، صحيح ابن حبان، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1414هـ.
4. **ابن حجر**، أحمد، تقريب التهذيب، الطبعة الأولى، دار ابن حزم . بيروت، 1420هـ.
5. **ابن حجر**، أحمد العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار الفكر–بيروت، 1414هـ.
6. **ابن حنبل**، أحمد ـ، المسند ، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1416ه.
7. **ابن خزيمة**، محمد، الصحيح، الطبعة الثانية، شركة الطباعة العربية السعودية – الرياض، 1401هـ.
8. **ابن راهويه**، إسحاق، المسند، الطبعة الأولى،مكتبة الإيمان– المدينة المنورة، 1412هـ.
9. **ابن عبد البر**، أبو عمر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الطبعة: الأولى، طبعات مختلفة بدون سنة.
10. **ابن عبد البر**، أبو عمر الاستيعاب في معرفة الأصحاب . دار نهضة مصر – القاهرة . بدون طبعة.
11. **ابن عثيمين**، محمد بن صالح ،شرح رياض الصالحين، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426هـ.
12. **ابن عثيمين**، محمد بن صالح، الشرح الممتع على زاد المستقنع، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي،1422هـ.
13. **ابن فارس**، أحمد، معجم مقاييس اللغة . الطبعة الأولى، دار الجيل– بيروت. 1411ه
14. **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي،1408هـ.
15. **ابن ماجة**،القزويني، السنن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت.
16. **ابن منظور**، محمد، لسان العرب. دار صادر – بيروت .
17. **أبو داود**، سليمان، السنن . ت دار الكتب العلمية – بيروت، بدون طبعة.
18. **الألباني**، محمد بن ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، الطبعة الأولى، مؤسسة غراس– الكويت، 1419هـ.
19. **الأنصاري**، إبراهيم، **الأدب في العصر الأيوبي** .الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، ص: 228(1965).
20. **البخاري** ، محمد ، الصحيح، الطبعة الثانية، المكتبة العصرية – بيروت، 1418هـ.
21. **البيهقي**، أبو بكر، السنن الكبرى، الطعبةالأولى، دار الكتب العلمية – بيروت،1414هـ.
22. **البيهقي**، أبو بكر، شعب الإيمان، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد– الرياض،1423هـ.

23. **الترمذي**، أبو عيسى، السنن، دار الحديث – القاهرة . بدون طبعة.
24. **جُبران مسعود**، الرائد معجم لغوي عصري، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين – بيروت، 1992م
25. **الجرجاني**، علي بن محمد ،كتاب التعريفات، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية– بيروت، 1403ه.
26. **جعفر**، غسان، الحجامة العلاج بكاسات الهواء، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث– مصر، 1426هـ.
27. **الحاكم**، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت1411هـ. .
28. **الخطابي**، أبو سليمان، معالم السنن. دار الكتب العلمية – بيروت. 1416هـ.
29. **الدارقطني**، .علي بن عمر، السنن، دار الفكر –بيروت ، 1414هـ.
30. **الدارمي**، . عبد الله بن عبد الرحمن ، السنن، دار الفكر – بيروت . 1414هـ.
31. **السيوطي**، جلال الدين، تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، مكتبة نزار مصطفى الباز،1425هـ.
32. **الشوكاني**، محمد بن علي، نيل الأوطار، دار الحديث، مصر، 1413هـ
33. **الصنهاجي**، عبد الحميد محمد، مجالس التذكير من حديث البشير النذير،الطبعة الأولى، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، 1403هـ.
34. **الطبراني**، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، الطبعة الثانية. بدون سنة.
35. **الطحاوي**، أحمد بن محمد، شرح مشكل الآثار، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1415هـ.
36. **عبد الرحيم** ، محمد، الحجامة أنفع ما تداوى بها الناس ، الطبعة الأولى، دار أسامة_ عمان1412هـ.
37. **العيني**، محمود بن أحمد، عمدة القاري، الطبعة الأولى، دار الفكر – بيروت، 1418هـ.
38. **العيني**، محمود بن أحمد، شرح سنن أبي داود، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد – الرياض، 1420هـ.
39. **الغضبان**، منير، التربية القيادية، الطبعة الرابعة، دار الوفاء– المنصورة،1426هـ.
40. **الفاكهي**، محمد بن إسحاق ،أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، الطبعة الثانية، دار خضر – بيروت،1414هـ.
41. **القاري**، علي بن سلطان محمد الهروي ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الطبعة الأولى، دار الفكر– بيروت، أبو الحسن نور الدين الملا القاري (المتوفى: 1014هـ) 1422هـ .
42. **القاضي**، عياض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث. بدون طبعة.
43. **قاسم**، حمزة محمد، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري،دار البيان – دمشق،1410هـ.
44. **القرطبي**، ابن حزم الظاهري، جمهرة أنساب العرب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت، 1403هـ.

45. **القسطلاني**،أبو العباس أحمد، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، دار الكتاب العربي – بيروت . سنة 1323هـ .
46. **المزي**، أبو الحجاج يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، دار الفكر– بيروت . 1414هـ/1994م .
47. **مسلم**، ابن الحجاج النيسابوري، الصحيح، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة .
48. **المناوي**، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية الكبرى – مصر،1356هـ.
49. **النووي**، أبو زكريا، صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الأولى، دار الثقافة العربية – بيروت . 1347هـ.
50. **الهروي**، علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الطبعة الأولى، دار الفكر– بيروت، 1422هـ.

حواشي البحث

---

(1) معجم مقاييس اللغة (2/ 152).

(2) لسان العرب (7/ 24).

(3) التعريفات (ص: 99).

(4) الرائد معجم لغوي عصري تأليف جُبران مسعود ص201.

(5) مسند أحمد بن حنبل. (39/ 466) وحسنه شعيب الأرنؤوط في حاشية المسند.

(6) صحيح ابن حبان 404/3.

(7) مسند أحمد (39/ 463).

(8) المعجم الكبير للطبراني (8/ 331) وسنن الدارقطني 148/1.

(9) التربية القيادية لمنير الغضبان. (252/2).

(10) سنن الترمذي (5/ 664) حديث رقم 3791 وقال: حسن صحيح، وسنن ابن ماجه (1/ 55) حديث رقم 154 وصحيح ابن حبان 238/16 حديث رقم 7252.

(11) صحيح ابن حبان (16/ 238).

(12) صحيح مسلم (4/ 1881) حديث رقم (2419).

(13) فتح الباري (23/7).

(14) فتح الباري (7/ 126).

(15) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (8/ 109).

(16) فتح الباري (23/7).

(17) نيل الأوطار (6/ 66).

(18) صحيح البخاري 195/6 حديث رقم 5048 وصحيح مسلم 546/1 حديث رقم 793 واللفظ له.

(19) صحيح البخاري (6/ 195).

(20) أي وادي مكة يعني أهل مكة (انظر فتح الباري لابن حجر (7/ 284).

(21) هو عَبْد الرَّحْمَن بْن أبزي الخزاعي مَوْلَى نافع بْن عَبْد الحارث. أسد الغابة لابن الأثير (3/ 419).

(22) صحيح مسلم 201/2 حديث رقم 1849

(23) سنن ابن ماجه (1339/2) حديث رقم4036، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (4/ 512) وصححه وعلق الذهبي بقوله: صحيح.

(24) مسند أحمد (13/ 291)

(25) مسند أحمد (21/ 25) وحسنه شعيب في حاشية المسند.

(26) صحيح البخاري (8/ 104) حديث رقم 6496.

(27) صحيح البخاري (1/ 21) حديث رقم 59.

(28) شرح صحيح البخارى لابن بطال (10/ 206) بتصرف قليل.

(29) نظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري (23/ 83)

(30) فيض القدير (1/ 451) بتصرف قليل.

(31) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (8/ 3429).

(32) المصدر السابق نفسه.

(33) شرح رياض الصالحين (6/ 654).

(34) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (1/ 156).

(35) حديث أخرجه مسلم في صحيحه مرفوعا بلفظ:" لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ" (صحيح مسلم 208/8) حديث رقم 7512.

(36) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (5 / 215) 3102 واللفظ له، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (230/4) حديث رقم 32 والحاكم في المستدرك 534/3 حديث رقم 6340. والحديث إسناده صحيح. وصحح إسناده الحاكم في المستدرك ، وقال شعيب الأرنؤوط محقق مسند أحمد: إسناده قوي على شرط مسلم.وقال الدكتور عبد الغفور البلوشي محقق مسند إسحاق بن راهويه: صحيح رجاله ثقات كلهم.

(37) شرح صحيح البخارى لابن بطال (1 / 157).

(38) سورة النصر الآية 1-2.

(39) سورة النصر الآية 3.

(40) صحيح البخاري 149/5 حديث رقم 4294.

(41) تقريب التهذيب ص 366.

(42)المصدر السابق نفسه.

(43) فتح الباري 762/9.

(44) صحيح مسلم (2/ 133) حديث رقم 1474.

(45) صحيح مسلم (2/ 133) حديث رقم 1477.

(46) صحيح البخاري (1/ 140) حديث رقم 692.

(47) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (5/ 203).

(48) سنن أبي داود (1/ 135) حديث رقم 499.والحديث إسناده حسن . قال الألباني: حسن صحيح(صحيح سنن أبي داود 407/2).

(49) سنن الترمذي (1/ 359)حديث رقم 189.وقال: حسن صحيح.

(50) صحيح ابن خزيمة (1/ 189).

(51) السنن الكبرى للبيهقي (1/ 628).

(52) معالم السنن (1/ 153).

(53) شرح النووي على مسلم (4/ 77).

(54) انظر بتصرف قليل الشرح الممتع على زاد المستقنع (50/2).

(55) صحيح البخاري (1/ 125).

(56) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (5/ 115).

(57) فتح الباري لابن حجر (2/ 87).

(58) شرح أبي داود للعيني (2/ 424).

(59) نيل الأوطار (2/ 47).

60 أَبُو مَحْذُورَةَ سَمُرَةُ بْنُ مِعْيَرٍ القرشي الجمحي. الاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/ 656).

(61) سنن الدارمي (2/ 763) وصحح إسناده محقق الكتاب حسين سليم أسد، والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه195/1 حديث رقم 377.

(62) مسند أحمد (24/ 91).

(63) صحيح ابن خزيمة (1/ 200) حديث 352، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (2/ 131).

(64) صحيح مسلم (6/ 6) حديث رقم 4746.

(65) صحيح مسلم (6/ 7) حديث رقم 4746.

(66) صحيح مسلم بشرح النووي (12/ 210).

(67) شعب الإيمان (9/ 526).

(68) شرح مشكل الآثار45/1.

(69) صحيح مسلم (6/ 6) حديث رقم4745.

(70) سنن أبي داود (3/ 301) حديث رقم 3582 والحديث أخرجه الترمذي في سننه (3/ 610) حديث رقم 1331 وقال: حديث حسن.

(71) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (6/ 2429).

(72) صحيح البخاري (6/ 71) حديث رقم4679.

(73) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (4/ 1515).

(74) فتح الباري لابن حجر (9/ 13).

[75] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (7/ 163) بتصرف يسير.

[76] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (7/ 447).

[77] صحيح البخاري (5/ 36) حديث رقم 3758.

[78] صحيح البخاري 27/5 حديث رقم 3758، و28/5 حديث رقم 3760، وصحيح مسلم 149/7 حديث رقم 6420.

[79] صحيح مسلم 149/7 حديث رقم 6417.

[80] شرح النووي على مسلم (16/ 17).

[81] عمدة القاري 25/20.

[82] صحيح مسلم (7/ 147) حديث رقم6412.

[83] صحيح مسلم (7/ 148) حديث رقم6414.

[84] صحيح مسلم (7/ 148) حديث رقم6415.

[85] صحيح مسلم بشرح النووي (16/ 17).

[86] سنن ابن ماجه (1/ 49) حديث رقم 131 والحديث أخرجه أحمد في مسنده 211/1 وابن حبان في صحيحه 542/15 وإسناده حسن وقد حسنه شعيب الأرنؤوط كما في حاشية مسند أحمد .

[87] مسند أحمد (1/ 371) قال شعيب: إسناده صحيحَ.

(88) المراد بالسريانية هي العبرية لغة اليهود انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (7/ 2951) وقد ورد في روايات أخرى ما يفيد ذلك منها ما رواه أحمد في مسنده بسنده المتصل عن خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَقَالَ: "يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي " قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ " مسند أحمد 490/35 حديث رقم 21618 وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في تعليقه على أحاديث المسند وفي رواية للطبراني في المعجم الكبير 133/5 حديث رقم 4856 بلفظ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ يَهُودَ» ، قَالَ: فَكُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ وَأَكْتُبُ إِلَيْهِمْ وَأَقْرَأُ لَهُ إِذَا كَتَبُوا " .

(89) صحيح ابن حبان (16/ 84) حديث رقم 7136 وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط. والحديث أخرجه أبو داود في سننه (3/ 318) حديث رقم 3645 و الترمذي في سننه بنحوه 67/5 حديث رقم 2715 وقال: حسن صحيح،

(90) شرح مشكل الآثار (5/ 281).

(91) مجالس التذكير من حديث البشير النذير ص 70.

(92) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (1/ 397).

(93) مسند أحمد 57/11 و406/11 وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في الحاشية في الموضعين .

(94) صحيح البخاري 34/1 حديث رقم 113. ويبين ابن حجر أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ جَازِمًا بِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الصَّحَابَةِ أَكْثَرُ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهُ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ مَعَ أَنَّ الْمَوْجُودَ الْمَرْوِيَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَقَلُّ مِنَ الْمَوْجُودِ الْمَرْوِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ بِأَضْعَافٍ مُضَاعَفَةٍ ويجيب بقوله: فَإِنْ قُلْنَا الِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعٌ فَلَا إِشْكَالَ إِذِ التَّقْدِيرُ لَكِنَّ الَّذِي كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ الْكِتَابَةُ لَمْ يَكُنْ مِنِّي سَوَاءٌ لَزِمَ مِنْهُ كَوْنُهُ أَكْثَرَ حَدِيثًا لِمَا تَقْتَضِيهِ الْعَادَةُ أَمْ لَا؛ وَإِنْ قُلْنَا الِاسْتِثْنَاءُ مُتَّصِلٌ فَالسَّبَبُ فِيهِ مِنْ جِهَاتٍ أَحَدُهَا: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ مُشْتَغِلًا بِالْعِبَادَةِ أَكْثَرَ مِن اشْتِغَالِهِ بِالتَّعْلِيمِ فَقَلَّتِ الرِّوَايَةُ عَنْهُ. ثَانِيهَا: أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ مُقَامِهِ بَعْدَ فُتُوحِ الْأَمْصَارِ بِمِصْرَ أَوْ بِالطَّائِفِ ولَمْ تَكُنِ الرِّحْلَةُ إِلَيْهِمَا مِمَّنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ كَالرِّحْلَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ مُتَصَدِّيًا فِيهَا لِلْفَتْوَى وَالتَّحْدِيثِ إِلَى أَنْ مَاتَ، وَيَظْهَرُ هَذَا مِنْ كَثْرَةِ مَنْ حَمَلَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ أَنَّهُ رَوَى عَنْهُ ثَمَانَمِائَةِ نَفْس مِنَ التَّابِعِينَ وَلَمْ يَقَعْ هَذَا لِغَيْرِهِ. ثَالِثُهَا: مَا اخْتُصَّ بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِأَنْ لَا يَنْسَى مَا يُحَدِّثُهُ بِهِ .رَابِعُهَا: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ قَدْ ظَفِرَ فِي الشَّامِ بِحِمْلِ جَمَلٍ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَكَانَ يَنْظُرُ فِيهَا وَيُحَدِّثُ مِنْهَا فَتَجَنَّبَ الْأَخْذَ عَنْهُ لِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فتح الباري لابن حجر (1/ 207) وقال العيني: هُوَ أَكثر من جِهَة ضَبطه بِالْكِتَابَةِ وتقييده بهَا، وَأَبُو هُرَيْرَة أَكثر من جِهَة مُطلق السماع. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (2/ 182).

(95) البداية والنهاية (5/ 361).

(96) فتح الباري لابن حجر (9/ 22) بتصرف قليل.

(97) صحيح البخاري 184/6.

(98) سورة التوبة الآية 128.

(99) صحيح البخاري 184/6 حديث رقم 4989.

(100) سورة النساء الآية 95.

(101) صحيح البخاري 184/6 حديث رقم 4990.

(102) فتح الباري لابن حجر (9/ 22).

(103) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (1/ 190).

(104) الإقطاع: تسويغ الإمَام من مَال الله شَيْئا لمن يرَاهُ أهلا لذَلِك. يُقَال مِنْهُ: أقطع بِالْألف، وأَصله من الْقطع كَأَنَّهُ قطعه لَهُ من جملَة المَال. مشارق الأنوار على صحاح الآثار (2/ 183)

(105) المعجم الكبير 108/5 حديث رقم 4748 والسنن الكبرى للبيهقي 214/10 حديث رقم 20405 وحسن إسناده ابن حجر (انظر فتح الباري 184/13).

(106) صحيح البخاري 98/1 حديث رقم 453، و 112/4 حديث رقم 3212. و وصحيح مسلم 162/7 حديث رقم 6467 واللفظ لمسلم.

(107) صحيح البخاري (1/ 98) حديث رقم453 و صحيح مسلم (7/ 163) حديث رقم 6469.

(108) صحيح البخاري (4/ 112) حديث رقم 3213 صحيح مسلم 163/7 حديث رقم 6470. وحديث رقم 6471.

(109) صحيح مسلم (7/ 164) حديث رقم 6478.

(110) صحيح البخاري (4/ 185) 3531.

(111) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1/ 341).

(112) صحيح مسلم 164/7 حديث رقم6478.

(113) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1/ 342).

(114) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (24/ 575).

(115) تاريخ الخلفاء (ص: 37).

(116) صحيح مسلم 110/1 حديث رقم 188.

(117) جمهرة أنساب العرب لابن حزم (1/ 364).

(118) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (20/ 263).

(119) صحيح البخاري (5/ 171) حديث رقم 4378.

(120) صحيح البخاري (5/ 170) حديث رقم 4373 وصحيح مسلم 57/7 حديث رقم 5717.

(121) صحيح ابن حبان (13/ 25) حديث رقم 5718 وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط في تعليقه عليه.

(122) صحيح البخاري (5/ 27) حديث رقم 3757. صحيح البخاري (5/ 143) حديث رقم 4262.

(123) مسند أحمد 216/1 حديث رقم 43. وإسناده ضعيف للانقطاع بين ولكن بشاهد البخاري يرتقي للحسن لغيره

(124) أصل الحَجْم المَصُّ، وَقيل للحاجم حَجَّام لامتصاصه فَم المِحْجمة. يُقَال: حَجَم الصبيُّ ثديَ أُمِّه إِذا مَصَّه، وثديٌ محجوم أَي ممصوص. (انظر تهذيب اللغة للأزهري (4/ 99) ويقول النووي: الحجامة: إخراج الدم (شرح النووي على صحيح مسلم 192/14) ويمكن تعريفها بأنها سحب الدم الفاسد من الجسم الذي سبب مرضاً معيناً ويكون ذلك إما بالفم أو بآلة كالكأس (انظر بتصرف كتاب الحجامة العلاج بكاسات الهواء للدكتور غسان جعفر ص 9، وكتاب الججامة أنفع ما تداوى بها الناس لمحمد عبد الرحيم ص 10.

(125) أبو طيبة : هو مولى بني حارثة كَانَ يحجم النَّبِيّ ﷺ ..قيل : اسمه نافع. و قيل: غير ذلك. انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1700) .

(126) صحيح البخاري (3/ 63)حديث رقم 2102 و صحيح مسلم (5/ 39) حديث رقم4043 واللفظ للبخاري.

(127) صحيح مسلم (39/5) حديث رقم 4045.

(128) صحيح مسلم (7/ 22) حديث رقم5795.

(129) سبق تخريجه في حاشية رقم 123.

(130) سبق تخريجه في حاشية رقم 5.

(131) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين 236/4 حديث رقم 7484 وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي على ذلك. ومعنى " ضامن": أي تكون جِنَايَتُهُ مَضْمُونَةً عَلَى عَاقِلَتِهِ لِأَنَّهُ تَوَلَّدَ مِنْ فِعْلِهِ الْهَلَاكُ وَهُوَ مُتَعَدٍّ فِيهِ انظر بتصرف مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (6/ 2293).

(132) سبق تخريجه في حاشية رقم 23.

(133) سبق تخريجه في حاشية رقم 27.

(134) صحيح مسلم (6/ 54) حديث رقم 4995.

(135) سبق تخريجه في حاشية رقم 62.